(سورة الإسراء)

{ سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَا ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ }

{ سبحان الذي أسرى } أي: أنزهه عن اللواحق المادية والنقائص التشبيهية بلسان حال التجرّد والكمال في مقام العبودية الذي لا تصرف فيه أصلاً { ليلاً } أي: في ظلمة الغواشي البدنية والتعلقات الطبيعية لأنّ العروج والترقي لا يكون إلا بواسطة البدن { من المسجد الحرام }

أي: من مقام القلب المحرّم عن أن يطوف به مشرك القوى البدنية ويرتكب فيه فواحشها وخطاياها ويحجّه غوى القوى الحيوانية من البهيمية والسبعية المنكشفة سوأتا إفراطها وتفريطها لعروها عن لباس الفضيلة

{ إلى المسجد الأقصى } الذي هو مقام الروح الأبعد من العالم الجسماني بشهود تجليات الذات وسبحات الوجه، وتذكر ما ذكرنا أن تصحيح كل مقام لا يكون إلا بعد الترقي إلى ما فوقه لتفهم من قوله.

{ لنريه من آياتنا } مشاهدة الصفات، فإن مطالعة تجليات الصفات وإن كانت في مقام القلب لكن الذات الموصوفة بتلك الصفات لا تشاهد على الكمال بصفة الجلال والجمال إلا عند الترقي إلى مقام الروح،

أي: لنريه آيات صفاتنا من جهة أنها منسوبة إلينا ونحن المشاهدون بها، البارزون بصورها { إنه هو السميع } لمناجاته في مقام السر لطلب الفناء { البصير } بقوة استعداده وتوجهه إلى محل الشهود وانجذابه إليه بقوة المحبة وكمال الشوق.

{ وَآتَيْنَآ مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً }

{ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً }

{ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ٱلْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً }

{ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً }

{ وآتينا موسى } القلب كتاب العلم { وجعلناه هدى لبني إسرائيل } أي: القوى التي هي أسباط إسرائيل الروح { ألاّ تتخذوا من دوني وكيلاً } لا تستبدوا بأفعالكم ولا تستقلوا بطلب كمالاتكم وحظوظكم ولا تكتسبوا بمقتضى دواعيكم ولا تكلوا أمركم إلى شيطان الوهم فيسوّل لكم اللذات البدنية ولا إلى عقل المعاش فيستعملكم في ترتيبه وإصلاحه، بل كلوا أمركم إليّ لأدبركم بأرزاق العلوم والمعارف وهيئات الأخلاق والفضائل، وأكملكم بإمداد الأنوار من عالم القلب والروح بتأييد القدس وأنزل عليكم من عوالم الملكوت والجبروت ما يغنيكم عن مكاسب الناسوت أعني { ذرية من حملنا مع نوح } العقل في فلك الشريعة والحكمة العملية { إنه كان عبداً شكوراً } لمعرفته بِنعم الله واستعمالها على الوجه الذي ينبغي.

{ وقضينا إلى بني إسرائيل } القوى في كتاب اللوح المحفوظ أي: حكمنا فيه { لتفسدنّ في الأرض مرتين } مرة في مقام النفس حالة كونها أمّارة لتفسدنّ في طلب شهواتكم ولذاتكم { ولتعلنّ علوّاً كبيراً } باستيلائكم على القلب وغلبتكم واستعلائكم عليه ومنعكم إياه عن كماله واستخدام قوته المفكرة في تحصيل مطالبكم ومآربكم، ومرة في مقام القلب عند تزينكم بالفضائل وتنوّركم بنور القلب وظهوركم ببهجة كمالاتكم لتفسدنّ بالظهور بكمالاتكم واحتجاب القلب بفضائلكم عن شهود تجلي التوحيد والحجب النورية أقوى من الحجب الظلمانية لرقتها ولطافتها وتصوّرها كمالات يجب الوقوف معها، ولتعلن في مقام الفطرة بالسلطنة بالهيئات العقلية والكمالات الأنسية.

{ فإذا جاء وعد أولاهما } أي: وعد وبال أولاهما { بعثنا عليكم عباداً لنا } من الصفات القلبية والأنوار الملكوتية والآراء العقلية { أولي بأسٍ شديد } ذوي سلطنة وقهر { فجاسوا خلال } ديار أماكنكم ومحالكم وقتلوا بعضكم بالقمع والقهر وسبوا ذراري الهيئات البدنية والرذائل النفسانية ونهبوا أموال المدركات الحسيّة واللذات البهيمية والسبعية { وكان وعداً } على الله { مفعولاً } لإيداعه قوة الكمال وطلبه في استعدادكم وتركيزه أدلة العقل في فطرتكم.

{ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً }{ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلآخِرَةِ لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً }

{ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً }

{ ثم رددنا لكم } الدولة بتنوّركم بنور القلب وإقبالكم على الصدر وانصرافكم إلى مقتضى نظر العقل ورأيه { وأمددناكم بأموال } العلوم النافعة والحِكَم العقلية والشرعية والمعارف القلبية { وبنين } من الفضائل الخلقية والهيئات النورانية { وجعلناكم أكثر نفيراً } بكثرة الفضائل والملكات الفاضلة والأخلاق الحسنة.

{ إن أحسنتم } بتحصيل الكمالات الخلقية والآراء العقلية

{ أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم } باكتساب الرذائل والهيئات البدنية { فلها فإذا جاء وعد } المرة { الآخرة } بالفناء في التوحيد بعثنا عليكم عباداً من الأنوار القدسية والتجليات الجلالية والسبحات القهرية من الصفات الإلهية وجنود سلطان العظمة والكبرياء { ليسوؤوا وجوهكم } أي: وجوداتكم بالفناء في التوحيد، فيغلب عليكم كآبة فقدان الكمالات بقهرها وسلبها { وليدخلوا } مسجد القلب

{ كما دخلوه أول مرة } ووصل أثرها عليكم من العلوم والفضائل

{ وليتبروا ما علوا } بالظهور بكماله وفضيلته والإعجاب برؤية زينته وبهجته

{ تتبيراً } بالإفناء بصفات الله.

{ عسى ربكم أن يرحمكم } بعد القهر بالفناء والمحو بتجليات الصفات بالإحياء ويبعثكم بالبقاء بعد الفناء، ويثيبكم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.{ وإن عدتم } بالتلوين في مقام الفناء بالظهور بأنائيتكم { عدنا } بالقهر والإفناء كما قال تعالى:

{ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَاةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً }[الإسراء، الآيات: ٧٤-٧٥]

{ وجعلنا جهنم } الطبيعة { للكافرين } المحجوبين عن الأنوار، الذين بقوا على

فساد المرة الأولى { حصيراً } محبساً وسجناً يحصرهم في عذاب الاحتجاب والحرمان عن الثواب.

{ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً }

{ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً }

{ وَيَدْعُ ٱلإِنْسَانُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ عَجُولاً }

{ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ آيَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً }

{ إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم } أي: يبين أحوال الفرق الثلاث من السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال يهدي إلى طريقة التوحيد التي هي أقوم الطرق للسابقين { ويبشّر المؤمنين } من أصحاب اليمين الذين آمنوا تقليداً جازماً أو تحقيقاً علمياً وداوموا على أعمال التزكية والتحلية الصالحة لأن يتوصل بها إلى الكمال { أن لهم أجراً كبيراً } من نعيم جنات الأفعال والصفات في عوالم الملك والملكوت والجبروت{ وأنّ الذين لا يؤمنون } من أصحاب الشمال{ بالآخرة } لكونهم بدنيين محجوبين عن عالم النور، محبوسين في ظلمات الطبيعة { أعتدنا لهم عذاباً أليماً } في قعر سجين الطبيعة، مقيدين بسلاسل محبة السفليات وأغلال التعلقات ونيران الحرمان عن اللذات والشهوات، والتعذب بالعقارب والحيّات من غواسق الهيئات. { وجعلنا } ليل الكون وظلمة البدن ونهار الإبداع ونور الروح يتوصل بهما وبمعرفتهما إلى معرفة الذات والصفات { فمحونا آية الليل } بالفساد والفناء { وجعلنا آية النهار } بينة باقية أبداً، منيرة بكمالها، تبصر بنورها الحقائق

{ لتبتغوا فضلاً من ربّكم } أي: كمالكم الذي تستعدّونه { ولتعلموا عدد } المراتب والمقامات أي: لتحصوها من أول حال بدايتكم إلى كبر نهايتكم بالترقي فيها وحساب أعمالكم وأخلاقكم وأحوالكم، فلا تجدوا شيئاً من سيئات أعمالكم إلا وتكفرونه بحسنة مما يقابله من جنسه ولا رذيلة من أخلاقكم إلا وتكفرونها بضدها من الفضيلة، ولا ذنباً من ذنوب أحوالكم إلا وتكفرونه بالإنابة إلى جناب الحق { وكل شيء } من العلوم والحكم { فصلناه } بنور عقولكم عند الكمال ونزول العقل الفرقاني { تفصيلاً } أي: علماً

تفصيلياً مستحضراً لا إجمالياً مغفولاً عنه كما في العقل القرآني عند البداية.

{ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ
وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً }
{ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً }
{ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً }
{ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً }{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ
وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً }

{ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه } أي: جعلنا سعادته وشقاوته وسبب خيره وشره لازماً لذاته لزوم الطوق في العنق، كما قال:

« السعيد من سعد في بطن أمه والشقيّ من شقى في بطن أمه ».

{ ونخرج له يَوْم القيامة } الصغرى عند الخروج من قبر جسده { كتاباً } هيكلاً مصوراً بصور أعماله مقلّداً في عنقه { يلقاه } للزومه إياه { منشوراً } لظهور تلك الهيئات فيه بالفعل مفصلة لا مطوياً كما كان عند كونها فيه بالقوة، يقال له: { اقرأ كتابك } أي: اقرأه قراءة المأمور الممتثل لأمر آمر مطاع يأمره بالقراءة، أو تأمره القوى الملكوتية سواء كان قارئاً أو غير قارئ، لأن الأعمال هناك ممثلة بهيئاتها وصورها يعرفها كل أحد لا على سبيل الكتابة بالحروف فلا يعرفها الأميّ { كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً } لأن نفسه تشاهد ما فعلته لازماً إياها نصب عينها مفصلاً لا يمكنها الإنكار، فبين لها غيرها { ولا تزر وازرة وِزْرَ أخرى } لرسوخ هيئة ما فعلته فيها وصيرورتها ملكة لازمة دون الذي فعل غيرها، ولم يعرض لها منه شيء، وإنما يتعذب من يتعذب بالهيئات التي فيه لا من خارج.

{ وما كنَّا مُعَذبين حتى نَبْعث رسولاً } رسول العقل بإلزام الحجة وتمييز الحق والباطل. ألا ترى أن الصبي والسفيه غير مكلفين؟،

أو رسول الشرع لظهور ما في الاستعداد من الخير والشرّ والسعادة والشقاوة

بسببه ومقابلته بالإقرار والإنكار، فإن المستعد للكمال يتحرك ما فيه بالقوة عند سماع الدعوة فيشتاق ويطلب متلقياً لها بالإقرار والقبول لما يدعوه إليه لمناسبته إياه وقربه وغير المستعد ينكر ويعاند لمنافاته لما يدعوه إليه ويعده.

{ وإذا أردنا أن نهلك قرية } الخ، إنّ لكل شيء من الدنيا زوالاً وزواله بحصول استعداد يقتضي ذلك.

وكما أن زوال البدن بزوال الاعتدال وحصول انحراف يبعده عن ظل الوحدة التي هي سبب بقاء كل شيء وثباته فكذلك هلاك المدينة وزوالها بحدوث انحراف فيها عن الجادة المستقيمة التي هي صراط الله وهي الشريعة الحافظة للنظام، فإذا جاء وقت إهلاك قرية فلا بد من استحقاقها للإهلاك، وذلك بالفسق والخروج عن طاعة الله فلما تعلقت إرادته بإهلاكها تقدّمه أولاً بالضرورة فسق مترفيها من أصحاب الترف والنِعَم بطراً وأشراً بنعمة الله واستعمالاً لها فيما لا ينبغي وذلك بأمر من الله وقدر منه لشقاوة كانت تلزم استعداداتهم وحينئذ وجب إهلاكهم.

{ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً }

{ وَمَنْ أَرَادَ ٱلآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً }

{ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰؤُلاءِ وَهَـٰؤُلاءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً }

{ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً }

{ من كان يريد العاجلة } لكدورة استعداده وغلبة هواه وطبيعته { عجَّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد } أي: لا نزيده بإرادته زيادة على ماقدرنا له من النصيب في اللوح ولذلك قيده بالمشيئة ثم بقوله { لمن نريد } يعني: لو لم نقدر له شيئاً مما أراده لم نعجل له تخليصه، إنّا لا نعطي إلا ما أردنا { من أردنا ثم جعلنا له جهنَّم }

أي: قعر بئر الطبيعة الظلمانية لانجذابه بإرادته إلى الجهة السفلية وميله إليها

{ يصلاها } بنيران الحرمان { مذموماً } عند أهل الدنيا والآخرة { مدحوراً } من جناب الرحمة والرضوان في سخط الله وقهره.

{ ومن أراد الآخرة } لصفاء استعداده وسلامة فطرته وقام بشرائط إرادته من الإيمان والعمل الصالح شكر سعيه بحصول مراده كما قيل: من طلب وجدَّ وَجَدَ، لأن

الطلب الحقيقي والإرادة الصادقة لا يكونان إلا عند حصول استعداد المطلوب، وإذا قارن الاستعداد الدالّ على أن المطلوب حاصل له بالقوة، مقدّر له في اللوح أسباب خروج المطلوب إلى الفعل وبروزه من الغيب إلى الشهادة وهو السعي الذي ينبغي له ومن حقه أن يسعى له على هذا الوجه المعنيّ بقوله:

{ وسعى لها سعيها } أي: السعي الذي يحق لها بشرط الإيمان الغيبي اليقيني وجب حصوله له { كلاًّ نمدّ هؤلاء وهؤلاء }أي: كلهم من طالبي الدنيا وطالبي الآخرة نمد من عطائنا ليس بمجرد إرادتهم وسعيهم شيء وإنما إرادتهم وسعيهم معرّفات وعلامات لما قدّرنا لهم من العطاء{ وما كان عطاء ربّك } ممنوعاً من أحد، لا من أهل الطاعة ولا من أهل المعصية. { انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض } في الدنيا بمقتضى مشيئتنا وحكمتنا{ وللآخرة أكبر درجات } إذ بقدر رجحان الروح على البدن يكون رجحان درجات الآخرة على الدنيا وبقدر تفاضلهما يكون تفاضل درجاتهما.

{ لاَّ تَجْعَل مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً }

{ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً }

{ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً }

{ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً }

{ وَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً }

{ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً }

{ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً }

{ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً } { إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً }

{ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً }

{ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً }

{ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً }

{ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً }

{ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }

{ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْم

ٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً }

{ وَلاَ تَمْشِ فِي ٱلأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً }

{ كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً }

{ ذٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ

وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً

{ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً }

{ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً }

{ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً }

{ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً }

{ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ

إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً }

{ لا تجعل مع الله إلهاً آخر } بتوقع العطاء منه وجعله سبباً لوصول شيء لم يقدر الله لك إليك، فتصير { مذموماً } برذيلة الشرك والشك عند الله وعند أهله { مخذولاً } من الله يكلك إليه ولا ينصرك

{ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ }[آل عمران، الآية: ١٦٠].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « **إنّ الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك**

بشيء لم ينفعوك إلا ما كتب الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا ما كتب الله عليك، رُفِعَت الأقلام وجُفّت الصحف «.

قرن سبحانه وتعالى إحسان الوالدين بالتوحيد وتخصيصه بالعبادة لأنه من مقتضى التوحيد لكونهما مناسبين للحضرة الإلهية في سببيتهما لوجودك وللحضرة الربوبية لتربيتهما إياك، عاجزاً، صغيراً، ضعيفاً لا قدرة لك ولا حراك بك، وهما أول مظهر ظهر فيه آثار صفات الله تعالى من الإيجاد والربوبية والرحمة والرأفة بالنسبة إليك ومع ذلك فإنهما محتاجان إلى قضاء حقوقهما والله غنيّ عن ذلك، فأهمّ الواجبات بعد التوحيد إذن إحسانهما والقيام بحقوقهما ما أمكن.

{ تسبّح له السماوات السبع } إلى آخره، إنّ لكل شيء خاصية ليست لغيره، وكمالاً يخصه دون ما عداه، يشتاقه ويطلبه إذا لم يكن حاصلاً له ويحفظه ويحبه إذا حصل فهو بإظهار خاصيته ينزّه الله عن الشريك وإلا لم يكن متوحداً فيها، فكأنه يقول بلسان الحال: أوحده على ما وحدني، ويطلب كماله ينزهه عن صفات النقص كأنه يقول: يا كامل كمّلني، وبإظهار كماله يقول: كملني الكامل المُكمل. وعلى هذا القياس، حتى أنّ اللبوة مثلاً بإشفاقها على ولدها تقول: أرأفني الرؤوف وأرحمني الرحيم. وبطلب الرزق: يا رزاق، فالسماوات السبع تسبحه بالديمومة والكمال والعلوّ والتأثير والإيجاد والربوبية، وبأنه كل يوم هو في شأن، والأرض بالدوام والثبات والخلاقية والرزاقية والتربية والإشفاق والرحمة وقبول الطاعة والشكر عليها بالثواب، وأمثال ذلك. والملائكة بالعلم والقدرة والذوات المجرّدة منهم بالتجرّد عن المادة والوجوب أيضاً مع ذلك كله فهم مع كونهم مسبحين إيّاه، مقدّسون له { ولكن لا تفقهون تسبيحهم } لقلة النظر والفكر في ملكوت الأشياء وعدم الإصغاء إليهم وإنما يفقه

{ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }[ق، الآية: ٣٧].

{ إنَّه كان حليماً } لا يعاجلكم بترك التسبيح في طلب كمالاتكم وإظهار خواصكم، فإن من خواصكم تفقه تسبيحهم وتوحيده كما وحدوه { غفوراً } يغفر لكم غفلاتكم وإهمالاتكم.

{ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً }

{ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَىٰ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُوراً }

{ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً }

{ ٱنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً }

{ وَقَالُواْ أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً }

{ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً } { أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيباً }

{ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً }

{ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً }

{ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً }

{ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً }

{ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً }

{ أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً }

{ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَابِ مَسْطُوراً }

{ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ

مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً }
{ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً }
{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاِئكَةِ ٱسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ
قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً } { قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ
عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً }
{ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُوراً }
{ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ
وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلأَمْوَالِ وَٱلأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً }{
إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً }
{ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ
إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً }
{ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلْضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى
ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ كَفُوراً } { أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ
ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً }
{ أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ ٱلرِّيحِ
فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً }

{ جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة } لقصور نظرهم عن إدراك الروحانيات وقصر هممهم على الجسمانيات { حجاباً مستوراً } من الجهل وعمى القلب فلا يرون حقيقة القارئ ولا آمنوا وإنما لا يبصرونك لأنهم لا يحسبونك إلا هذه الصورة البشرية لكونهم بدنيين منغمسين في بحر الهيولى محجوبين بالغواشي الطبيعية وملابس الصفات النفسانية عن الحق وصفاته وأفعاله إذ لو عرفوا الحق لعرفوك ولو عرفوا صفاته لعرفوا كلامه، ولم يكن على قلوبهم أكنة من الغشاوات الطبيعية

والهيئات البدنية { أن يفقهوه } ولو عرفوا أفعاله لعلموا القراءة ولم يكن { في آذانهم } وقر لرسوخ أوساخ التعلقات { ولوا على أدبارهم نفوراً } لتشتت أهوائهم وتفرّق هممهم في عبادة متعبداتهم من أصنام الجسمانيات والشهوات، فلا يناسب بواطنهم معنى الوحدة لتألفها بالكثرة واحتجابها بها.

{ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده } أي: تتعلق إرادته ببعثكم فتنبعثون في أقرب من طرفة عين حامدين له بحياتكم وعلمكم وقدرتكم وإرادتكم حمداً واصفين له بالكمال بإظهار هذه الكمالات { وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً } أي: في القبور والمضاجع لذهولكم عن ذلك الزمان كما يجيء في قصة أصحاب (الكهف) أو في الحياة الأولى لاستقصاركم إياها بالنسبة إلى الحياة الآخرة فيتناول اللفظ القيامات الثلاث، إلا أن الآية السابقة ترجح الصغرى.

{ واسْتَفزز } إلى آخره، تمكن الشيطان من إغواء العباد على أقسام، لأن الاستعدادات متفاوتة فمن كان ضعيف الاستعداد استفزه أي استخفه بصوته يكفيه وسوسة وهمس بل هاجسة ولمة، ومن كان قويّ الاستعداد فإن أخلص استعداده عن شوائب الصفات النفسانية أو أخلصه الله تعالى عن شوائب الغيرية فليس له إلى إغوائه سبيل كما قال: { إن عبادي ليس لك عليهم سلطان } وإلا فإن كان منغمساً في الشواغل الحسيّة غارزاً رأسه في الأمور الدنيوية شاركه في أمواله وأولاده بأن يحرضه على إشراكهم بالله في المحبة بحبهم كحب الله ويسوّل له التمتع بهم والتكاثر والتفاخر بوجودهم ويمنيه الأماني الكاذبة ويزين عليه الآمال الفارغة وإن لم ينغمس فإن كان عالماً بصيراً بتسويلاته أجلب عليه بخيله ورجله، أي: مكر به بأنواع الحيل وكاده بصنوف الفتن وأفتى له في تحصيل أنواع الحطام والملاذ بأنها من جملة مصالح المعاش وغره بالعلم وحمله على الإعجاب، وأمثال ذلك، حتى يصير ممن أضلّه الله على علم وإن لم يكن عالماً بل عابداً متنسكاً أغواه بالوعد والتمنية وغرّه بالطاعة والتزكية أيسر ما يكون { وكفى بربّك وكيلاً }

أي: عبادي الخاصة لا يكلون أمرهم إلا إلى الله وحده لا إلى الشيطان ولا إلى غيره، وهو كافيهم بتدبير الأمور ولا يتوكلون إلا عليه بشهود أفعاله وصفاته.

{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }

{ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ يَقْرَؤونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً }

{ وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً }

{ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً }

{ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً }

{ ولقد كرّمنا بني آدم } بالنطق والتمييز والعقل والمعرفة { وحملناهم في البرّ والبحر } أي: يسرنا لهم أسباب المعاش والمعاد بالسير في طلبها فيهما وتحصيلها { ورزقناهم من الطيبات } أي: المركبات التي لم ترزق غيرهم من المخلوقات { وفضلناهم على كثير ممن خلقنا } أي: ما عدا الذوات المقدّسة من الملأ الأعلى، وأما أفضلية بعض الناس كالأنبياء على الملائكة المقرّبين فليست من جهة كونهم بني آدم فإنهم من تلك الحيثية لا يتجاوزون مقام العقل بل من جهة السرّ المودع فيهم المشار إليه بقوله:

{ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }[البقرة، الآية: ٣٠]

وهو ما أعدّ لذلك البعض من المعرفة الإلهية التامة بواسطة الجمعية التي فيه، أي: مقام الوحدة، وحينئذ ليس هو بهذا الاعتبار من بني آدم كما قيل:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوّتي

بل هو عين المكرّم المعروف كما قيل:

رأيت ربي بعين ربي ... فقال من أنت قلت أنت

وقد فني ابن آدم في هذا المقام وما بقي منه شيء وإلا فما للتراب وربّ الأرباب، أو { ولقد كرّمنا بني آدم } بالتقريب ومعرفة التوحيد وحملناهم في بر عالم الأجساد وبحر عالم الأرواح بتسييره فيهما لتركيبه منهما وإرقائه عنهما في طلب الكمال ورزقناهم من طيبات العلوم والمعارف، { وفضلناهم } على الجم الغفير

{ ممن خلقنا } ، أي: جميع المخلوقات، على أن تكون من للبيان والمبالغة في تعظيمه بوصف المفضل عليهم بالكثرة وتنكير الوصف وتقديمه على الموصوف أي كثير، وأي كثير وهو جميع مخلوقاتنا لدلالة من على العموم { تفضيلاً } تاماً بيّناً.

{ يوم ندعو } إلى آخره، أي: نحضر { كل } طائفة من الأمم مع شاهدهم الذي يحضرهم ويتوجهون إليه من الكمال ويعرفونه سواء كان في صورة نبيّ آمنوا به كما ذكر في تفسير قوله:

{ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ }[النساء، الآية: ٤١]

أو إمام اقتدوا به أو دين أو كتاب أو ما شئت على أن تكون الباء بمعنى مع أو ننسبهم إلى إمامهم وندعوهم باسمه لكونه هو الغالب عليهم وعلى أمرهم المستعلي محبتهم إياه على سائر محباتهم { فمن أوتي كتابه بيمينه } أي: من جهة العقل الذي هو أقوى جانبيه وبعث في صورة السعداء { فأولئك يقرؤون كتابهم } دون غيرهم لاستعدادهم للقراءة والفهم لأن الذي أوتي كتابه بشماله، أي: من جهة النفس التي هي أضعف جانبيه لا يقدر على قراءة كتابه وإن كان مقروؤًا لذهاب عقله وفرط حيرته { ولا يظلمون } أي: لا ينقصون من صور أعمالهم وكمالاتهم وأخلاقهم شيئاً قليلاً.

{ ومن كان في هذه أعمى } عن الاهتداء إلى الحق { فهو في الآخرة } كذلك

{ وأضلّ سبيلاً } مما هنا لأن له في هذه الحياة آلات وأدوات وأسباباً يمكنه الاهتداء بها وهو في مقام الكسب باقي الاستعداد إن كان ولم يبق هناك شيء من ذلك.

{ إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَاةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً }

{ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً }

{ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً }

{ أَقِمِ ٱلصَّلاَةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيلِ وَقُرْآنَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً }

{ إذاً لأذقناك } أي: لو قاربت فتنتهم وكدت توافقهم لأذقناك عذاباً مضاعفاً في الحياة وعذاباً مضاعفاً في الممات، فإنّ شدّة العذاب بحسب علوّ المرتبة وقوة

الاستعداد إذ النقصان الموجب للعذاب يقابل الكمال الموجب للذة.

فكلما كان الاستعداد أتمّ والإدراك أقوى، كانت المرتبة في الكمال والسعادة واللذة أقوى فكذا ما يقابله من النقص والشقاوة أبعد وأسفل والألم أشدّ.

{ أقِمِ الصَّلاة لدلوك الشمس } اعلم أنّ الصلاة على خمسة أقسام: صلاة المواصلة والمناغاة في مقام الخفاء، وصلاة الشهود في مقام الروح، وصلاة المناجاة في مقام السرّ، وصلاة الحضور في مقام القلب، وصلاة المطاوعة والانقياد في مقام النفس. فدلوك الشمس هو علامة زوال شمس الوحدة عن الاستواء على وجود العبد بالفناء المحض، فإنه لا صلاة في حال الاستواء إذ الصلاة عمل يستدعي وجوداً، وفي هذه الحالة لا وجود للعبد حتى يصلي كما ذكر في تأويل قوله تعالى:

{ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ }[الحجر، الآية: ٩٩].

ألا ترى الشارع عليه السلام كيف نهى عن الصلاة وقت الاستواء، فأما عند الزوال، إذا حدث ظل وجود العبد سواء عند الاحتجاب بالخلق حالة الفرق قبل الجمع أو عند البقاء حالة الفرق بعد الجمع، فالصلاة واجبة { إلى غسق } ليل النفس { وقرآن } فجر القلب، فأول الصلوات وألطفها صلاة المواصلة والمناغاة وأفضلها وأشرفها صلاة الشهود للروح المشار إليها بصلاة العصر كما فسرت الصلاة الوسطى، أي: الفضلى في قوله تعالى:

{ حَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ }[البقرة، الآية: ٢٣٨]

والصلاة الوسطى بها، وأوحاها وأخفها صلاة السرّ بالمناجاة أول وقت الاحتجاب بظهور القلب لسرعة انقضاء وقتها ولهذا استحب التخفف في صلاة المغرب في القراءة وغيرها لكونها علامة لها، وأزجر الصلاة للشيطان، وأوفرها تنويراً لباطن الإنسان صلاة الحضور للقلب المومئ إليها بقرآن الفجر، فإنها في وقت تجليات أنوار الصفات ونزول المكاشفات ولهذا استحب التكثر في جماعة صلاة الصبح وأكد استحباب الجماعة فيها خاصة، وتطويل القراءة، وقال تعالى:

{ إن قرآن الفجر كان مشهوداً } أي: محضوراً بحضور ملائكة الليل والنهار إشارة إلى نزول صفات القلب وأنوارها وذهاب صفات النفس وزوالها، وأشدّها تثبيتاً للنفس وتطويعاً لها صلاة النفس للطمأنينة والثبات، ولهذا سنّ فيما جعل آية

لها من صلاة العشاء السكوت بعدها حتى النوم إلا بذكر الله، وحيث أمكن للشيطان سبيل إلى الوسوسة استحب، فيما جعل علامة لها الجهر كصلاة النفس والقلب والسرّ للزجر ولا مدخل له في مقام الروح والخفاء فأمر بالإخفات.

{ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً }

{ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً }

{ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً }

{ ومن الليل فتهجد به } أي: خصّص بعض الليل بالتهجد { نافلة لك } زيادة على ما فرض خاصة بك، لكونه علامة مقام النفس، فيجب تخصيصه بزيادة الطاعة لزيادة احتياج هذا المقام إلى الصلاة بالنسبة إلى سائر المقامات فيقتدي بك السالكون من أمّتك في تطويع نفوسهم ويقوى تمكنك في مقام الاستقامة، كما قال: « أفلا أكون عبداً شكوراً «. { عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً } أي: في مقام يجب على الكل حمده وهو مقام ختم الولاية بظهور المهدي، فإن خاتم النبوّة في مقام محمود من وجه هو جهة كونه خاتم النبوة غير محمود من وجه هو جهة ختم الولاية، فهو من هذا الوجه في مقام الحامدية فإذا تم ختم الولاية يكون في مقام محمود من كل وجه.{ وقل ربّ أدخلني } حضرة الوحدة في عين الجمع { مدخل صدق } مدخلاً حسناً مرضياً به بلا آفة زيغ البصر بالالتفات إلى الغير ولا الطغيان بظهور الأنائية ولا شوب الاثنينية { وأخرجني } إلى الكثرة عند الرجوع إلى التفصيل بالوجود الموهوب الحقاني { مخرج صدق } مخرجاً حسناً مرضياً به من غير آفة التلوين بالميل إلى النفس وصفاته ولا الضلال بعد الهدى بالانحراف عن جادّة الاستقامة والزيغ عن سنن العدالة إلى الجور كالفتنة الداودية { واجْعَل لي من لدنك سلطاناً نصيراً } حجة ناصرة بالتثبيت والتمكين بأن أكون بك في الأشياء في حال البقاء بعد الفناء لا بنفسي كما قال عليه الصلاة والسلام: « لا تكلني إلى نفسي طرفة عين « ، أو عزّاً وقوة قهرية بك، أقوي بها دينك وأظهره على الأديان كلها.{ وقل جاء الحق } أي: الوجود الثابت الواجب الحقاني الذي لا يتغير ولا يتبدّل { وزهق الباطل }

أي: الوجود البشري الإمكاني القابل للفناء والتغير والزوال { إنّ الباطل } أي: الوجود

الممكن { كان } فانياً في الأصل لا شيئاً ثابتاً طرأ عليه الفناء ففني، بل الفاني فانٍ في الأزل والباقي باقٍ لم يزل، وإنما احتجبنا بتوهم فاسد باطل فكشف.

{ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً }

{ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَئُوساً }

{ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً }

{ وننزل من } العقل القرآني الجامع بالتدريج نجوم تفاصيل العقل الفرقاني نجماً فنجماً على الوجود الحقاني على حسب ظهور الصفات أي: نفصل ما في ذاتك مجملاً مكنوناً تفصيلاً بارزاً ظاهراً عليك ليكون شفاء لأمراض قلوب المستعدّين المؤمنين بالغيب من أمّتك كالجهل والشك والنفاق وعمى القلب والغلّ والحقد والحسد وأمثالها فنزكيهم ورحمة تفيدهم الكمالات والفضائل وتحليهم بالحكم والمعارف { ولا يزيد الظالمين } الناقصين استعدادهم بالرذائل والحجب الظلمانية الباخسين حظوظهم من الكمال بالهيئات البدنية والصفات النفسانية { إلاَّ خساراً } بزيادة ظهور أنفسهم بصفاتها كالإنكار والعناد والمكابرة واللجاج والرياء والنفاق منضمة إلى ما لهم من الشك والجهل والعمى والعمه.

{ وإذا أنعمنا على الإنسان } بنعمة ظاهرة { أعرض } لوقوفه مع النفس والبدن وكون القوى البدنية متناهية لا تتدبر الأمور الغير المتناهية الممكنة الوقوع من سبب النعمة وردّها عند عدمها وسائر الغير ولا يرى إلا العاجل، وتكبر لاستعلاء نفسه على القلب وظهوره بأنائيته وتفرعنه فنأى، أي: بعد عن الحق في جانب النفس وطوى جنبه معرضاً وكذا في جانب الشرّ إذا مسّه يئس لاحتجابه عن القادر وقدرته ولو نظر بعين البصيرة شاهد قدرة الله تعالى في كلتا الحالتين وتيقن في الحالة الأولى أن الشكر رباط النعم، وفي الثانية أن الصبر دفّاع النقم، فشكر وصبر وعلم أن المنعم قدر فلم يعرض عند النعمة بطراً وأشراً خائفاً زوالها، غير غافل عن المنعم، ولم ييأس عند النقمة جزعاً وضجراً راجياً كشفها، مراعياً لجانب المبلي.

{ قل كل يعمل على شاكلته } أي: خليقته وملكته الغالبة عليه من مقامه فمن كان مقامه النفس وشاكلته مقتضى طباعها عمل ما ذكرنا من الإعراض واليأس ومن كان مقامه القلب وشاكلته السجيّة الفاضلة عمل بمقتضاها الشكر والصبر

{ فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً } من العاملين على الخير بمقتضى سجيّة

القلب وعامل الشرّ بمقتضى طبيعة النفس فيجازيهما بحسب أعمالهما.

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً }

{ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً }

{ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً }

{ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي } أي: ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه للظاهرين البدنيين الذين لا يتجاوز إدراكهم عن الحسّ والمحسوس بالتشبيه ببعض ما شعروا به من التوصيف بل من عالم الأمر، أي: الإبداع الذي هو عالم الذوات المجرّدة عن الهيولى والجواهر المقدّسة عن الشكل واللون والجهة والأين، فلا يمكنكم إدراكه أيها المحجوبون بالكون لقصور إدراككم وعلمكم عنه { وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً } هو علم المحسوسات وذلك شيء نزر حقير بالنسبة إلى علم الله تعالى والراسخين في العلم.

{ ولئن شئنا لنذهبنَّ بالذي أوحينا إليك } بالطمس في محل الفناء أو الحجب بعد الكشف بالتلوين { ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً } يتوكل علينا بردّه { إلاَّ } مجرّد رحمة عظيمة خاصة بك من فرط عنايتنا وهي أعلى مراتب الرحمة الرحيمية المتكفلة من عند الله تعالى بإفاضة الكمال التام عليه، أي: لو تجلينا بذاتنا لما وجدت الوحي ولا ذاتك إلا إذا تجلينا بصفة الرحمة واسمنا الرحيم فتوجد وتجد الوحي، وكذا لو تجلينا بصفة الجلال لاحتجبت عن الوحي والمعرفة { إنّ فضله } بالإيحاء والتعليم الرباني بعد موهبة الوجود الحقاني { كان عليك كبيراً } في الأزل.

{ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }

{ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً }

{ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلأَرْضِ يَنْبُوعاً }

{ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً }

{ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلائِكَةِ قَبِيلاً }

{ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ
حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً }
{ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَى
إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً }
{ قُل لَوْ كَانَ فِي ٱلأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً }
{ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً }
{ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُم
ْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً
وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً }
{ ذَلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا
وَقَالُواْ أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً }
{ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَىٰ ٱلظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً }

{ قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله } لكون الاستعداد الكامل الحامل له مخصوصاً بك وأنت قطب العالم يرشح إليهم ما يطفح منك فلا يمكنهم الإتيان بمثله ولا يطيقون حمله، ولهذا المعنى أبى أكثرهم { إلا كفوراً } واقترحوا الآيات الجسمانية المناسبة لاستعدادهم وإدراكهم كتفجير العيون من الأرض وجنّة النخيل والأعناب وإسقاط السماء عليهم كسفاً والرقي فيها والإتيان بالملائكة وسائر الممتنعات المتخيلة وأجيبوا بقوله:

{ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين } أي: ما أمكن نزول الملائكة مع كونهم نفوساً مجرّدة على الهيئة الملكية في الأرض، بل لو نزلت لم ينزلوا إلا متجسدين، كما قال:

{ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ }

[الأنعام، الآية: ٩] وإلا لم يمكنكم إدراكهم فبقيتم على إنكاركم، وإذا كانوا مجسدين ما صدّقتم كونهم ملائكة فشأنكم الإنكار على الحالين بل على أيّ حال كان كإنكار الخفاش ضوء الشمس.

{ ومن يهد الله } بمقتضى العناية الأزلية في الفطرة الأولى بنوره { فهو المهتد } خاصة دون غيره { ومن يضلل } بمنع ذلك النور عنه { فلن تجد لهم } أنصاراً يهدونه { من دونه } أو يحفظونه من قهره { ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم } أي: ناكسي الرؤوس لانجذابهم إلى الجهة السفلية أو على وجوداتهم وذواتهم التي كانوا عليها في الدنيا كقوله: « كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تبعثون « إذ الوجه يعبر به عن الذات الموجودة مع جميع عوارضها ولوازمها أي على الحالة الأولى من غير زيادة ونقصان { عمياً } عن الهدى، كما كانوا في الحياة الأولى { وبكماً } عن قول الحق، لعدم إدراكهم المعنى المراد بالنطق إذ ليسوا ذوي قلوب يفهم بها ويفقه، فكيف التعبير عما لم يفهم { وصمّاً } عن سماع المعقول، لعدم الفهم أيضاً، فلا يؤثر فيهم موجب الهداية لا من جهة الفهم من الله تعالى بالإلهام ولا من طريق السمع من كلام الناس ولا من طريق البصر بالاعتبار { كلما خبت زدناهم سعيراً } كقوله:

{ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا }[النساء، الآية: ٥٦]

بل أبلغ منه ذلك بسبب احتجابهم عن صفاتنا خصوصاً قدرتنا على البعث وإنكارهم له. أنكروا ما استدلوا بخلق السموات والأرض على القدرة.

{ قُل لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي
إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلإِنْفَاقِ وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ قَتُوراً }
{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يٰمُوسَىٰ مَسْحُوراً }
{ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ
بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يٰفِرْعَونُ مَثْبُوراً }
{ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً }

{ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلأَرْضَ
فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً }
{ وَبِٱلْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً }
{ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً }

{ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم } لوقوفكم مع صفات نفوسكم التي من لوازمها الشح الجبلي لكون إدراكها مقصوراً على ما يدرك بالحسّ من الأمور المادية المحصورة واحتجابها عن البركات الغير المتناهية والرحمة الواسعة الغير المنقطعة التي لا تدرك إلا عند اكتحال البصيرة بنور الهداية فتخشى نفادها وانقطاعها { تسع آيات بيّنات } مرّت الإشارة إليها في سورة (الحجر).

{ وبالحق أنزلناه } أي: ما أنزلنا القرآن إلا بعد زوال بشرية النبي صلى الله عليه وسلم بالكلية في مقام الفناء وانتفاء الحدثان عن وجه القدم وانقشاع ظلمة الإمكان عن سبحات الوجه الواجب الباقي بالفرق الثاني ليكون له محل وجودي فما كان إنزاله إلا ظهور أحكام التفاصيل من عين الجمع على المظهر التفصيلي فكان إنزاله بالحق من الحق على الحق ونزوله بالحق على هذا التأويل هو كما يقال: نزل بكذا إذا حل به، على أن تكون الباء الثانية للظرفية كقولك: نزلت ببغداد والولى للحال أي: ملتبساً بالحق على معنيين إما بالحق الذي هو نقيض الباطل أي: بالحقيقة والحكمة، وإما بالحق الذي هو الله تعالى أي: أنزل على صفته وهو الحق { وقرآناً فرقناه } على حسب ظهور استعدادات المظاهر المقتضية لقبوله بحسب الأحوال والمصالح والصفات كما أشرنا إليه في قوله:

{ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ }[الإسراء، الآية: ٧٤].

{ قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ
إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً }
{ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً }
{ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً }
{ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلأَسْمَآءَ ٱلْحُسْنَىٰ
وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً }

{ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا } أي: أن وجوداتكم كالعدم عندنا.

ليس المراد منه هدايتكم لكونكم مطبوعاً على قلوبكم لا محل لكم عند الله ولا في الوجود لكونكم أحلاس بقعة الإمكان معدومي الأعيان بالذات إنما الاعتبار بالعلماء الذين لهم وجود عند الله في عالم البقاء المعتدّ بهم في الأنباء، فانظر كيف تراهم عند تلاوته عليهم وسماعهم إياه { يخرّون } أي: ينقادون له ويعترفون به ويعرفون حقيقته لعلمهم به ومعرفتهم إياه بنورية الاستعداد ومناسبته له، وبنور كمالهم لتجرّدهم وعلمهم بأنه كان كتاباً من عند الله موعوداً ليس هو إلا إياه لما وجدوه مطابقاً لما اعتقدوه يقيناً فإن الاعتقاد الحق لا يكون إلا واحداً { ويزيدهم خشوعاً } باللين والانقياد لحكمه لتأثرهم به وحسن تلقيهم لقبوله.

{ قل ادعوا الله } بالفناء في الذات الجامعة لجميع الصفات { أو ادعوا الرحمن } بالفناء في الصفة التي هي أمّ الصفات { أيّاً ما } طلبت من هذين المقامين لست هناك بموجود ولا لك بقية ولا اسم ولا عين ولا أثر إذ الرحمن لا يصلح اسماً لغير تلك الذات ولا يمكن ثبوت تلك الصفة أي: الرحمة الرحمانية لغيرها فلا يلزم وجود البقية بخلاف سائر الأسماء والصفات { فله الأسماء الحسنى }

كلها في هذين المقامين لا لك { ولا تجهر } في صلاة الشهود بإظهار صفة الصلاة عن نفسك فيؤذن بالطغيان وظهو رالأنائية { ولا تخافت } غاية الإخفات فيؤذن بالانطماس في محل الفناء دون الرجوع إلى مقام البقاء، فلا يمكن أحداً الاقتداء بك، { وابْتَغ بين ذلك سبيلاً } يدل على الاستقامة ولزوم سيرة العدالة في عالم الكثرة وملازمة الصراط المستقيم بالحق.

{ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً }

{ وقل الحمد لله } أي: أظهر الكمالات الإلهية والصفات الرحمانية التي لا تكون إلا للذات الأحدية { الذي لم يتخذ ولداً } أي: لم يكن علة لموجود من جنسه لضرورة كون المعلول محتاجاً إليه ممكناً بالذات معدوماً بالحقيقة فكيف يكون من جنس الموجود حقاً الواجب بذاته من جميع الوجوه { ولم يكن له } من يساويه في قوة القهر والمملكة من الشريك في الملك وإلا لكانا مشتركين في وجوب الوجود والحقيقة. فامتياز كل واحد منهما عن الاخر لا بد وأن يكون بأمر غير الحقيقة الواجبية فلزم تركبهما فكانا كلاهما ممكنين لا واجبين وأيضاً فإن لم يستقلا بالتأثير لم يكن أحدهما إلهاً، وإن استقلّ أحدهما دون الآخر فذلك هو الإله دونه فلا شريك له وإن استقلا جميعاً لزم اجتماع المؤثرين المستقلين على معلول واحد إن فعلا معاً وإلا لزم إلهية أحدهما دون الآخر رضي بفعله أو لم يرض { ولم يكن له وليّ من الذلّ }

أي: لم يكن له ناصر علة كان أو جزء علة تقويه وتنصره من ذلّة الانفال والعدم وإلا لم يكن إلهاً واجباً بل ممكناً لتكون حبيباً قائماً به لا بنفسك { وكبِّره } من أن يتقيد بصفة دون أخرى أو صورة غير أخرى أو يلحقه شيء من هذه النقائص فينحصر في وجود خاص تبارك وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً { تكبيراً } لا يقدر قدره ولا يعرف كنهه لامتناع وجود شيء غيره يفضل عليه وينسب إليه بل كل ما يتصور ويعقل ولا يكبر غيره بهذا التكبير والله الحق الموفق.